نصّ

حديث بغداد

- وبغدادُ لي
وبغدادُ تسألُ هل غادرَ الموعظة
سُنّةً من ترابْ
وألسنةً من لهبْ
وأقام على تلّةٍ من سحاب!

- عبرنا إلى غابة في الزجاج الرماديّ، في الكلماتِ مخابئُ للطمي، والجمر أحبولة الريح يفضحُها النخلُ، المسافةُ أرجوحة والمحطّاتُ في المدن الأجنبيّةِ أفئدة وشرايين، أوقفنا القصدُ حين تركنا الرصافةَ في دفتر المخبرين وبوصلة الطائراتِ جدارٌ لبغدادَ في جسدي، يسعلُ الكرخُ، فوقَ المنائر غيمٌ قديم وفي الفجر لا يتخثّر ضوء المصابيح والصيف يغسلُ أقدامَهُ في الحرائق، بيتٌ من الملح في الروح، الشبابيك تفتحُ أزرارها وتعرى، الستائر والروحُ في شهقةٍ، المشاتلُ في الجُرح والأعظميّةُ في القار تعبرُها النسوةُ الناهداتُ من النوم للموتِ من مدُنٍ تستفيقُ إلى مدن تُستبى ومن ليلة في النّدى إلى ليلة في الهجير ودجلةُ تسرقهُ الكاميراتُ، على منكبيه القرى والشعاراتُ والشهداءُ، تركناهُ في ليلةٍ للجنوح المبكر في الجبهاتِ، نُحبُّ ونطعنُ نأسى ونشفى، هو النصرُ أو معبدٌ لغريقٍ، طُوافٌ من الماء في حُجرات الخليقة يحملُ طفل النشوء وشرق الكلام..

- وبغدادُ لي
وبغدادُ تسألُ هل غادرَ الموعظة
مضى بين منفىً ومنفى
على موعد في طِعان الصداقة والأوفياء
لهُ الحُلم بوصلةُ الجثّةِ العائدة.

- وبغدادُ يبقُرها العصرُ، تأكلُ بعضَ الجراح الطريّة، تفتحُ أحشاءَها والشوارعَ للحربِ، هذا الوليد المبارك للقرنِ، تابوتها اللازوردُ، وأعشاشُها في الحناجر، عاصمةٌ للقيامةِ بغدادُ هل خرجتْ من قبور السلالاتِ في الغربِ طائفةٌ للملوكِ تروّعُها قُبّةٌ تركَ العصرُ فيها قماطاً وقيثارةً وقرابين؟
بغدادُ تسقطُ في العدِّ خلف المسافةِ تمضغُها الطائراتُ وخلف الركام السماوي والنخلِ والترع المؤمنة.

- وبغدادُ لي،
قلنسوةً صارَ خبزُ الجنوب
وأجنحة في الحرائقِ والأهلْ
يافطة للصدى...

- على الشرفات غريقٌ ولي موجةٌ تتكسّرُ في الحبرِ، طينٌ من التعب الأرجوانيِّ وجهُ أبي والرياحُ ولّما تزل جنوبيّةً والقتيلُ وبعضُ المجاديفِ واللكنةُ المستفيضةُ مثقلةٌ بالعناء وفوق حبال الغسيل تجفُّ السنينُ وأوجاعُنا والسَّمك.

باريس

شوقي عبد الأمير